د. عبداللطيف البرغوثي

دور التربية في دفع عجلة التنمية

تمهيد

ما نقصده بالتربية، هنا، هو إكساب الطالب معارف، واتجاهات، ومهارات، تصبح، جميعاً، مكوّنات لسلوكه، تؤثر فيه، وتوجهه الوجهة السليمة المبتغاة. والتنمية التي نعني هي التنمية الشاملة: الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية. وموضوع هذه الورقة ليس محاولة الكشف عن أهمية دور التربية في تحقيق التنمية فحسب، وإنما هو أيضاً، تأكيد حيويّة ذلك الدور وفعاليّته وضرورته. صحيح أن الإنسان نـزّاع بطبعه إلى تحصيل المعرفة، لترقية ذاته من ناحية، ولتحقيق التقدم لأسرته ومجتمعه، وجنسه من ناحية أخرى، ولذلك وجدناه يترقى، ويتطور، ويتقدم منذ العصر الحجري القديم حتى الآن. وإذن، فاذا صح اعتبار الماضي والحاضر مؤشرين للدلالة على المستقبل، فاننا نستطيع أن نقول ان ماضي الجنس البشري، وحاضره يشيران إلى أنه سلك خط سـير حضاري صاعداً أبداً نحو التقدم والنمو والنجاح، وليس ثمة ما يدعو إلى الشك في أنه لن يستمر كذلك، إلا إذا حدث ما يتهدد وجوده بالفناء وكيانه بالزوال. ولكنّ تقدم الجنس البشري عبر العصور والقرون الماضية، كان يتم بصورة عفوية، وبطريقة غير مـدروسة وغـير معتمدة، ولذلك فانه كان بطيئاً دائماً، وباهظ التكاليف أحياناً. والمتأمل في سرعة تقدم الجنس البشري، يستطيع بسهولة أن يلحظ أنه يتضاعف بقفزات مذهلة: فهو في هذا الجزء الذي انقضى من القرن العشرين، أكبر بكثير منه في أي قرن سابق عليه، وهو في السنوات الثلاثين الأخيرة، أكثر بكثير منه في النصف الأول من القرن العشرين ذاته. وإذا توقفنا عند أية خطوة تقدم خطاها الإنسان، وحاولنا أن نتبين أسبابها، فإنا سنجد في رأس القائمة، اكتسابه لمعرفة جديدة بالكشف أو الاختراع: فاكتشافه للنار في ماضيه البعيد، أحدث ثورة في تنمية حضارته وتقدمها نقلتها نقلة جبّارة جعلتها، في مرحلة ما بعد النار، تسمو كثيراً على ما كانت عليه قبلها. ونجاحه في تحطيم الذرّة، واستخدام الوقود الذري في نطاق تكنولوجيته المعاصرة، أتاح له فرصة ارتياد الفضاء الخارجي! وهذا